مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 ص.ص : العدد الثامن عشر ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أثر صراع الهويات على التعايش السلمي في السودان
ديناميات الهوية والمواطنة والاندماج الوطني

The Impact of Conflict of Identities on Peaceful Co-existence in Sudan:
The dynamics of Identity, Citizenship and National Integration

عبـده مختــار موسى

بروفيسور في العلوم السياسية والاجتماع السياسي بجامعة أم درمان الإسلامية

Prof. Abdu Mukhtar Musa

Omdurman Islamic University - Sudan

https://orcid.org/0000-0002-5927-8344

drmukhtar60@gmail.com

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
العدد الثامن عشر : ص.ص 290 -321 ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

مستخلص

يعتبر السودان من أكثر الدول التي تتسم بالتنوع الإثني والثقافي والديني واللغوي حيث يضم (بعد انفصال الجنوب) أكثر من 400 قبيلة، تشكل 40 مجموعة إثنية كبيرة ويتحدث سكانها ما يقارب المئة لغة. ونسبة لعدم نجاح النخبة السياسية في تحقيق الانسجام وعملية التكامل القومي والاندماج الوطني فإن هذه القضية أصبحت ليست عائقاً للتنمية فحسب بل مهدداً للسلام وبناء الدولة المستقرة في المستقبل. مشكلة التعايش السلمي في السودان تتقاطع فيها عدة عوامل أساسية منها الهوية والمواطنة والاندماج الوطني. فغياب "بوتقة الانصهار" نتج عنه أزمة في الهوية وأزمة في بناء الدولة وأزمة في كيفية إدارة التنوع لتحقيق الوحدة والاستقرار. تفحص الورقة المفاهيم المركزية في موضوع البحث مثل مفهوم الهوية، صراع الهويات، المواطنة، التعايش السلمي، مسألة إدارة التنوع، وتدرس التداخل والتقاطعات بين هذه المفاهيم.

ترى الورقة أن ينبغيى أن تتكامل كل هذه الديناميات في دولة السودان كوطن واحد يشعر كل المواطنين فيه بأن معايير "المواطنة وسيادة القانون والعدالة" تشكل الأسس والمبادئ التي تحكم العلاقة بين الجميع وتسود الجميع بالتساوي. دراسة وتحليل هذه الفرضية يستدعي تفكيك مكوناتها (متغيراتها) الأساسية. وهذا يعني دراسة مفهوم المواطنة ومفهوم الهوية والاندماج الوطني – على المستوى النظري، ثم اسقاطها على الحالة السودانية. ثم ربطها بعملية التعايش السلمي – مع إشارة **لحالة أبيي**.

الكلمات المفتاحية: الهوية، صراع الهويات، المواطنة، التعايش السلمي، إدارة التنوع، الاندماج الوطني

Abstract:

Sudan is among the most diversified states in terms of ethnicity, culture, religion and languages. The Sudan (after the secession of the South) embrace more than 400 tribes that constitute more than 40 ethnic groups, and the population speak nearly 100 languages. Because the political elite failed to achieve harmony and national integration, this has not only impeded development but also endangered stability of the country. The problem of peaceful co-existence intersects with many vital factors such as identity, citizenship and national integration. The lack of "melting pot" produced a crisis of identity, crisis of nation building as well as a crisis of proper management of diversity to achieve national unity and stability. The paper believes that these dynamic factors should integrate in the country as

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

one nation where every Sudanese citizens feels a deep sense of belonging. This is significant to pave the way for building one pan-national identity that transcends and overrule all sub-national identities.

Key words: identity, conflict of identities, diversity, citizenship, peaceful co-existence, national integration

مقدمـــــة:

تنطلق هذه الورقة من **فرضية** أساسية هي: يعتمد التعايش السلمي إلى حد كبير على درجة الاندماج الوطني وعلى تطبيق مفهوم المواطنة ومعالجة أزمة الهوية بتحقيق بوتقة الانصهار.

تهدف الورقة إلى شرح الديناميكيات التي تشكل مصدراً للصراع وعدم الاستقرار في السودان، وتناقش **سؤال** مركزي هو: كيف فشلت النخبة السودانية في حسن إدارة التنوع مما أدى إلى أزمات وحروب؟ وتتبنى الورقة **منهج** وصفي مع تحليل إمبيريقي وبمدخل أنثروبولوجي لفهم الأسباب الجوهرية التي حالت دون أن يحقق السودان "بوتقة الانصهار" لتحقيق الهوية الوطنية الجامعة. وكان نتاج ذلك الفشل هو نمو الهويات الصغرى (micro-identities) والهويات دون الوطنية (sub-national identities).

من زاوية الأنثروبولوجيا الاجتماعية ترى الورقة أن يمكن القول إن السـودان الذي يشـكل جزءاً كبيراً من بلاد السـودان يتمتع بدينامية إثنية وتفاعل ثقافي واسـع. إن هذا السـودان هو نتاج لعملية تمازج بين النوبيين والعرب والبجا والزنوج السـود. وهذه الخصـائص أهّلت السـودان ليكون معبراً (corridor) للثقافة الإسـلامية العربية لأفريقيا. كذلك أصبح بوتقة انصهار لإثنيات متعددة وثقافات متنوعة من أصول عربية وأفريقية. كذلك يمكن القول إن صناعة الهوية السودانية الحديثة جاء نتاجاً لعملية أسلمة وتعريب انتشرت سلمياً عبر الرُحَل والصـوفية والتجار والعلماء والتزاوج مع السـكان المحليين من العناصـر الحامية. لكن من الملاحظ أن هذه العملية – تشـكيل الهوية بالأسـلمة والتعريب – لم تصـاحبها تسـندها أسس عقلانية مثل العدالة والمسـاواة وحكم القانون بل تأثرت بفشل النخبة بالركون إلى معايير غير موضـوعية في التعامل مع مسألة المواطنة والهوية وذلك من خلال طغيان الانتماء الإثني/القبلي والجهوي على عملية إدارة التنمية وإدارة التنوع.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المبحث الأول: مفهوم المواطنة:

لقد عالجت بعض الأدبيات مفهوم المواطنة من مدخل مفهوم "المواطن". فقد ذهب البعض إلى أن المواطن (a citizen) هو فرد عضو في مجتمع سياسي political community والذي يتمتع بحقوق ويلتزم بواجبات العضوية.[1] لقد ثار جدل حول المفهوم وسط فلاسفة القرن الثامن عشر كما عاد الجدل ذاته إلى السطح بين الفلاسفة المعاصرين. في الماضي دار الجدل حول العلاقة بين الفرد الذي يعيش في دولة ملكية (موناركي): ما هو الفرق بين المواطن citizen والرعايا subject : هل المفردتان متطابقتان؟ كما ذهب هوبس؛ أم هناك تناقض بينهما كما ذهب أرسطو؟ بينما في تسعينات القرن العشرين ارتبط الجدل حول المفهوم بمفهوم حقوق الانسان والديمقراطية والعولمة.

لقد وجدت المواطنة منذ أن وجدت البشرية والكيانات والتجمعات البشرية والمجتمعية فى المعمورة. لكن أقرب معنى لمفهومها المعاصر فى التاريخ القديم يعود إلى دولة المدينة عند الإغريق والذى شكلت الممارسة الديمقراطية لأثينا تطبيقاً له فيما يعود تاريخ ابتداء مبدأ المواطنة فى أوروبا بعد اكتشافها إلى بداية ظهور الفكر السياسى العقلانى التجريبى وتزايد تأثيره نتيجة حركة الإصلاح الديني وماتلاه من حركات النهضة والتنوير في الحياة السياسية، فيما عرفت دائرة المعارف البريطانية المواطنة بأنها العلاقة بين الفرد والدولة كما يحددها دستور وقوانين تلك الدولة.

ولقد ورد فى لسان العرب بأن مفهوم الوطن لغة يشير إلى "المنزل الذى يقيم فيه الإنسان، فهو وطنه ومحله، بينما يقصد بالمواطنة كمعنى اصطلاحي "الانتماء إلى أمة أو وطن" [2] ، وبصفة موضوعية يقصد بالمواطنة صفة أو حالة نفسية وقومية وثقافية تعكس العلاقة بين الوطن والمواطن .

وبعبارة أخرى فإن المواطنة تعنى كلاً من العلاقات بين دولة ما والمواطن الفرد؛ وكذلك العلاقات السياسية بين المواطنين أنفسهم، وإذا كان المواطن هو الشخص الذي ينتمي إلى وطن تربطه به علاقة من الانتماء والولاء ؛ فإن الوطن بالمعنى الخاص هو البيئة والأرض التى تتجه إليه عواطف الإنسان القومية[3]، وبعبارة أدق هو المكان الذى يقيم فيه الفرد عادة بنية الإستقرار وتربطه به روابط إنسانية وإجتماعية ، لذلك فإننا نجد أن المواطن الذى يعيش خارج بلده ويتمتع بجنسية دولة أخرى إلى جانب جنسية دولته يعانى من حالة إغتراب نفسى تعكس حالة من الإزدواجية لديه فى القيم والمعتقدات.

---

[1] "Citoyen", 1753,*Encyclopedie ou Dictionnaire raisonne' des sciences, des arts et des métiers*. Tom 3, D. Diderot, D'Alembert, J. Le Rond (eds), Paris: chez Briasson [et al], 488 – 489. http://www.lib.uchicago.edu /efts/ARTFL/projects/encyc/

[2] الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع،1996،ص311.

[3] د. جميل صليب، المعجم الفلسفى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ، 1979.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
العدد الثامن عشر : ص.ص 290 -321 ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وتُقاس المواطنة استناداً إلى معيار أساسي هو الجنسية كرابطة قانونية وفقاً لهذه الرابطة للانتماء والخضوع تربط بين الفرد والدولة، وفى هذا السياق فإن حالة المواطنة تتيح للمواطن – دون غيره من الأفراد الذى يعيشون على أراضى الدولة – مجموعة من الحقوق كحق الترشيح والانتخاب وتولى الوظائف العامة، ومجموعة من الواجبات كأداء الخدمة العسكرية، وذلك دون النظر إلى دينه أو إلى أصله أو إلى جنسه.[4]

ومن منظور نفسى فإن المواطنة هي الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية. لذلك فإنه من الأهمية بمكان ألا نخلط بين المواطنة والجنسية إذ أن الأولى تعبر عن الرابطة المعنوية بين الفرد ووطنه حتى لو كان يحمل جنسية مزدوجة؛ أما الثانية فهى رابطة قانونية ترتب الإلتزامات والواجبات وتمنح الحقوق والمميزات لمن يحملها. لذلك من المفترض أن كلمة المواطن تطلق على كل من يحمل جنسية من يحملون جنسية الدولة. إلا أن ذلك لا يعنى إسقاط المواطنة على كل من يحملون جنسية ثانية إلى جانب جنسياتهم الأصلية ، وإلا عد ذلك نوعاً من إهدار الحقوق. وإن كان ذلك لا ينفى أن فى مثل هذه الحالات تتارجع قيم الإنتماء لدى هؤلاء، وتتراجع لديهم عناصرالقوة النفسية للإنتماء للوطن خاصة فى فترات الأزمات.[5]

كما تختلف المواطنة عن القومية. حيث يتسع المصطلح الثانى ليشمل أبعاداً إقليمية تعبر عن حالة الولاء لمجموعة إقلمية بعينها كالقومية العربية والقومية الأورربية ، والقومية الأفريقية. لذلك فإن فكرة القومية تعنى المصير المشترك لمجموعة من الأفراد الذين يعيشون داخل دولهم؛ ويسعون إلى تحقيق هدف جماعى يربطهم به إحساسهم بالولاء والإنتماء لقوميتهم التى ينتمون إليها.[6]

وفي قاموس علم الاجتماع تم تعريف المواطنة بأنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة) ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول (المواطن) الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق أنظمة الحكم القائمة.[7]

---

[4] سراج الدين عبد الفتاح (دكتور، مدير المكتب الفني لمحافظة البحيرة، مصر، جامعة المنصورة) أنظر ورقته بعنوان: " المواطنة الأمن القومي،" المنشورة على الموقع:
http://www.imamu.edu.sa/research_chairs/naief

[5] المصدر نفسه، ص 7

[6] المصدر نفسه، ص 7

[7] راجع دكتور / محمد عاطف غيث، (قاموس علم الاجتماع) – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – 1995م – ص 56.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وفى ضوء ما تقدم فإن مبدأ المواطنة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمبدأ المساواة، فكافة المواطنين أى كافة السودانيين – بحسب الأصل – أمام القانون سواء، وبالتإلى فلا تمييز بينهم فى الحقوق أو الواجبات.

وللمواطنة ثلاثة عناصر هي: الفرد والوطن والرابطة المعنوية. وللمواطنة ثلاثة أسس هي:

1. وجود بنية تشريعية سليمة.
2. وجود تجانس إجتماعى بعيداً عن الطائفية.
3. وجود أهداف مشتركة يسعى الجميع لتحقيقها.

وللمواطنة أربعة أهداف المواطنة:

1. تحقيق المساواة التامة بين الجميع فى الواجبات والحقوق.
2. تعزيز قيم الولاء والإنتماء لدى الكافة.
3. مشاركة الجميع فى القرار الوطنى بإعتبار أن المواطن شريك أساسى وفاعل فى صنع القرارات المتعلقة بحياته ومجتمعه.
4. تقوية المناعة فى الأزمات.

لقد اتفق العلماء على أن للمواطنة ثلاثة أبعاد: **قانونية، سياسية، والهوية**. كما تضمن المفهوم في العصر الحديث تساؤلات حول الفرق أو العلاقة بين "المواطَنة" (citizenship) و"الجنسية" nationality. من ناحية قانونية تعني تمتع كل المواطنين بحقوق متساوية. أما البعد السياسي فيتضمن المبادئ السياسية العامة مثل الديمقراطية، حقوق الإنسان وحكم القانون.[8] أما بُعد الهوية فيعني أن "المواطَنة" يمكن أن تكون مصْدَراً للهوية إذا ما عملت المواطنة على تعزيز **الإحساس** بالاحترام للفرد – حيث يشعر بأنه **ينتمي** لذلك الكيان، ولا يشعر بالإقصاء. فهناك من يضع كلمة مواطَنة مقابل **الإقصاء** exclusion.

المواطنة حالة معنوية وشعورية يعيشها الأفراد؛ وتعبر عن درجة عالية من الإنتماء إلى دولة بذاتها كبديل عن الإنتماء التقليدى للقبيلة أو العشيرة أو الطائفة أو الملة. ويرتب ذلك الإنتماء مجموعة من الحقوق والواجبات على من يتمتع بهذه الصفة. ولقد مر المفهوم بتطورات عميقة على مدار التاريخ، وإكتسب شكله الحديث على أثر إندلاع الثورة

[8] Carens, J. H., 2000, Culture, Citizenship, and Community. A Contextual Exploration of Justice as Evenhandedness, Oxford: Oxford University Press, p. 166.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
العدد الثامن عشر : ص.ص 290 -321 ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الفرنسية عام 1789، وإنتشر فى أعقاب الحركات القومية الأوروبية، كما شهدت عناصر هذا المفهوم إتساعاً متنامياً بعد الحرب العالمية الثانية وصدور القوانين التى كُرست لتحقيق المساواة بين الأفراد.[9]

وقد اكتسب هذا المفهوم اهتماماً متزايداً فى الفكر القانونى والدستورى المعاصر. كما تزايد الحديث العام عنه، لاسيما فى الآونة الأخيرة نتيجة إتساع مفهوم العولمة، وتضاؤل الفجوة بين الأمم والشعوب، وزيادة المؤثرات الثقافية من الخارج. وتستمد المواطنة أصلها من المبادىء الأساسية لحقوق الانسان؛ فالمواطنة ليست مجرد ارتباط بأرض وإنما هى عقد اجتماعى بين الإنسان ووطنه؛ وكلما كان هذا العقد عادلاً ومتوازناً، وتمتع بموجبه الإنسان فعلياً بحقوقه وبالاحترام الواجب لحرياته وأدى فى ذات الوقت ما عليه من واجبات يزداد إحساس الفرد بمواطنته، ويقوى ارتباطه بوطنه ورغبته للتفانى فى خدمته.[10]

فالمواطنة ليست مفهوماً سياسياً أو قانونياً مجرداً، وليست كلمات تتردد دون وعى بمضمونها وجوهرها، وإنما هى ارتباطاً معنوياً وشعوراً بالحاجة إلى رابطة بمكان يجد فيه الإنسان ذاته؛ ويشعر بناءً على ذلك بأنه يدافع عن هذا المكان، ويلبى متطلباته وإحتياجاته؛ لذلك فإن الفرد يحرص على كل ما فيه خير للوطن وإعلاء للمصلحة العامة على المصالح الشخصية أو العائلية الضيقة. ولكى يترسخ الشعور بالمواطنة فى نفوس الأفراد لابد وأن يتمتعوا بالاحترام الواجب لحقوقهم وحرياتهم الأساسية ليس فقط السياسية ولكن – وربما هو الأهم – الاقتصادية والاجتماعية ؛ وذلك فى إطار مناخ عام يتسم بالعدالة كمبدأ عام حاكم لحركة الدولة والمجتمع، ولتوزيع ثرواته وموارده. لذلك فإن المواطنة وإن كانت تولد مع الفرد فهى تنمو وتزدهر ووتجذر تدريجياً مع إدراكه لما تبذله الدولة من جهد لخدمة مواطنيها ورعايتهم. وبقدر ما يتمتع الفرد باحترام لحرياته وحقوقه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليس فقط من جانب الدولة ورموزها ولكن من جانب غيره من المواطنين بقدر ارتباطه بوطنه وولاءه له. فالشعور بالكرامة .. والاحترام.. والحرية هى الضمانة الأساسية لمواطنة حقيقية وفعالة.[11]

أما مفهوم الوطنية في الإسلام فإن الوطن في نظر الإسلام هو الوطن الذي يخضع لسلطاته وأحكامه، فأيما وطن خضع لسلطان الإسلام وأحكامه وعقيدته – يوماً من الأيام – فهو وطن الإسلام. هو الوطن الذي يتسع اتساع العقيدة الإسلامية في ربوع الأرض والبلاد. فحيثما يهيمن الإسلام وتكون الكلمة له فهو حينئذٍ وطن للإسلام والمسلمين. وكل إنسان يخضع لسلطة وأحكام هذا الوطن الإسلامي – بما فيهم أهل الذمة – فهو المواطن الذي يُعطى حقوق

[9] عبد الفتاح سراج الدين، المواطنة والأمن القومي، المصدر السابق
[10] المصدر نفسه.
[11] دكتورة نورهان الشيخ، "الأجهزة الأمنية ودعم مفهوم المواطنة" (ورقة عمل مقدمة لندوة "دور وزارة الداخلية في دعيم حقوق الإنسان)، مركز بحوث الشرطة بأكاديمية الشرطة، القاهرة، فبراير 2008

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وواجبات المواطنة. وعلى ضوء التفصيلات المبينة في الفقه الإسلامي ذات العلاقة بالموضوع. فهذا الوطن بمواصفاته الآنفة الذكر هو وطن كل مسلم في العالم على اختلاف جنسياتهم وألونهم ولغاتهم.. ولهم فيه كامل الحقوق والواجبات.[12]

المبحث الثاني: الاندماج الوطني:

يرى بعض الباحثين أن الاندماج الوطني national integration هو الوعي بهوية مشتركة تربط مواطنين في دولة ما. وتعني أنه على الرغم من انتمائنا لطوائف وأديان مختلفة ونتحدث لغات مختلفة إلا أننا ندرك حقيقة أننا جميعا قومية واحدة.[13]

يُقصد بمفهوم الاندماج الوطني خلق فرص وحقوق متساوية لكل المكونات الاجتماعية داخل الدولة الواحدة لتكون هذه المكونات الاجتماعية أكثر اندماجا فيما بينها، وبالتالي يعلو الولاء القومي بينها على الولاء الإثني والقبلي. كما تعني كلمة اندماج التكامل الطوعي بين المكونات الاجتماعية المختلفة داخل الدولة الواحدة. والاندماج الوطني مفهوم يسعى لإدارة التنوع الثقافي وتوجيه التباين الإثني والديني واللغوي القائم في المجتمع ليسهم في بناء وحدة وطنية قائمة على التنوع، ويهدف الاندما الوطني لتحقيق المساواة بين مكونات المجتمع في داخل الدولة الواحدة عبر تلبية احتياجاتهم وطموحاتهم الآنية والمستقبلية.[14] وبالتالي ينطوي المفهوم على توجهات فكرية تحاول أن تطرح حلولاً للكثير من المشكلات الاجتماعية كالنزاعات والصراعات العرقية التي تهدد وحدة الدولة وتعيق التنمية.

أن هناك إجماعاً على أن الاندماج الوطني, أو الانصهار في هوية وطنية مشتركة أمر ضروري لانتظام الحياة الاجتماعية والنفسية في أي مجتمع. وفي الوقت نفسه فإن هناك إجماعا على أن احد أهم معوقات الاندماج الوطني هو وجود القوالب النمطية الجاهزة. Stereotypes) وهي التصورات السلبية Images) التي تظهر بها الجماعات الوطنية القوية لنفسها, بالإصدار الأحكام على فئات المجتمع الأخرى.[15]

هذا يدل على درجة الخلل في عملية الاندماج الوطني الطبيعة المشتركة التي تحمل السمات, والصفات بين كل الناس, كما تعطل تبلور الهوية الوطنية الأصيلة الجامعة لكل الناس, بل تخرج الجماعات "الأقلية" خارج العمل الوطني لأنها دوماً تحس بأن دورها ثانوياً وأنها مهمشة

---

[12] ، 16/ 7/ 2005 www.abubaseer.bizland.com: أنظر موقع أبو بصير الطرطوسي:

[13] Shona Khurana, National Integration: Complete Information on the meaning, features and promotion of national integration in India (see the Wikipedia).

[14] عاصم فتح الرحمن، أزمات الاندماج الوطني في القارة الأفريقية، سوادنايل،

[15] متكل أبين نالاي، الاندماج الوطني، http://www.farajat.net/ar

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

marginalized وأنها مستبعدة ومقصية excluded في مجتمعها الذي تعيش فيه وأنها غريبة في وطنها alienated, لهذا تخرج مجبرة, لأنها ترفض سجنها في قوالب الأقواياء التي يريدون أن يسودوا وينتشروا على حساب حقوقها.

ولكي يتم الدمج integration بصورة سليمة وناجحة لا بد أن يقوم على التسامح. والدمج المتسامح هنا يعني أن ندخل فئات جديدة فنغيرها كما تغيرنا ثم نطلب منها المشاركة معنا في بناء الوطن. وكذلك يمكن أن تتعزز هذه العملية من خلال الإستيعاب والتمثُّل (assimilation) فيتم استيعاب كل المجموعات في الثقافة الرئيسة في المجتمع، أو بالتعبير المجازي "في المجرى الرئيس للنهر"in the main stream وهو الثقافة القومية السائدة مع احتفاظ كل مجموعة إثنية بثقافتها الفرعية في إطار ذلك الكل الثقافي الوطني. ويكون في المجتمع مكان لدمج المثقفين والمقاتلين والنساء والأحزاب والعمال وغيرهم, وبإمكان كل هؤلاء أن يكونوا جزءا من الوطن وارتباطهم فيه أكيد عبر مساواتهم ودمجهم وطنياً. مع احترامنا لخياراتهم الشخصية في حب القبيلة أو الطائفة, علينا أن نحترم الخيار الفردي ونتمسك بالخيار الوطني من حيث الارتباط والمساواة وسيادة حكم القانون.

يعتبر مفهوم الاندماج الوطني أقرب ما يكون لقبول واسع من المواطنين على اختلاف توجهاتهم ومشاربهم لمشروعية الدولة، واقتناعهم التام بكل ما يمكنه أن يحقق فكرة المواطنة الدستورية كإطار سياسي واجتماعي واقتصادي، تستطيع الدولة من خلاله التخلص من مشكلة إتهام البعض بالولاءات المتعددة، والقناعات المتباينة، وحصرها في الولاء الكامل للدولة.[16]

إن هذا المدخل يتفهم بالطبع أغلب الحساسيات التي يحملها أفراد من المجتمع ما زالت لديهم مخاوف الإندماج، وهواجس تخشى محو الخصوصية، وفي هذا الإطار فمن الضروري أن تسعى الدولة لتقديم حزمة إصلاحات تقضي على ما يمكن أن يعرقل المشروع الطموح للاندماج، بوضع كافة المواطنين على محك التكافؤ والمساواة والعدل، وهو شرط ضروري وملح لإنجاز المهمة[17] ..

إن الدول الحديثة تستطيع أن تعيد فحص الخطابات المناوئة والمؤسسة لفكرة علو أحد العناصر على عناصر أخرى بفرض المواطنة الكاملة على الجميع وتشكيل مؤسسات تساهم في دعم هذه الفكرة، مما يعني تجسير الهوة التي

[16] فؤاد نصر الله، الإندماج الوطني والتحولات الراهنة، إشارة: شبكة إخبارية ثقافية، 2011/6/10.

[17] المصدر نفسه

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

نشأت في مراحل تاريخية سابقة، كانت . في الغالب . محكومة بمفاهيم أخرى غير عصرية . المساواة الكاملة والشفافية في تسيير الأمور، والأخذ في الاعتبار الاستحقاقات القانونية التي تدعم هذا التوجه مسألة أساسية، بعدها تشرع الدولة في بسط مظلتها على جميع المواطنين، وتنبسط مروحة المساواة على أرض الواقع بعد اعتمادها نظريا.[18]

ينبغي أن تلعب المنظمات الأهلية وجماعات الفكر والأندية الأدبية وجمعيات الثقافة دورا كبيرا في التأسيس لهذا النمط من الحركة حيث المواطنة الدستورية هي ركن ركين للدولة الحديثة التي تسعى بكل السبل للرقي بمستوى المعيشة مع الرعاية الكاملة للأفراد ومساواتهم في الحقوق والواجبات، ومنحهم نفس الامتيازات دون نقصان. ومن الحتمي أن يقبل الجميع فكرة تجاور وتحاور العناصر المختلفة بالمجتمع وصولا إلى تعددية تتشكل من واجهات إثنية وطائفية ترتضي فيما بينها بفكرة العيش في رحاب دولة قوية عصرية يخضع الجميع لقوانينها التي لا تفرق بين أحد من رعاياها .

ويرى البعض أن هناك نقاط أساسية ينبغي توافرها كمداخل لتحقيق المشروع، كي يصل إلى القواعد التي تتبناه لتساهم في جعله واقعا ممكنا:[19]

- أن الوحدة من خلال التعددية رهان صحيح، وصالح للتداول كما علمتنا أدبيات الثقافة السياسية .
- الرضا عن السياسات التي تنتهج طالما تمارس قواعد العدل والمساواة وتكافؤ الفرص.
- الانصهار الثقافي مقدمة ضرورية للاندماج الخلاق في كافة المجالات الأخرى في الوطن .
- تحرير الخطابات من ثقل المرجعية الواحدة لصالح تصورات ممكنة لها إطار واحد يتسع للتصورات الثانوية .
- تنضيد التشكلات الخاصة بالجمعيات المدنية والمؤسسات الأهلية، بل والمشروعات الحكومية التي ترعى قيم الحوار، وصولا إلى قدر كبير من التفاهم والتصالح مع الآخر .
- لا يمكن إغفال ضرورة المشاركة الواسعة في الحراك الثقافي والإجتماعي وغيرهما، وهذا رهين الانفتاح الفاهم على تجارب التحديث بالمملكة .
- ترسيخ مسألة التسامح والاستيعاب للمختلف ضمن مكونات ثقافية ينبغي الترويج لها باقتناع كامل، ونزاهة فكرية يعتد بها .
- العمل على التنمية بكل تنوعاتها، فالتنمية واحدة من ركائز نجاح فكرة الاندماج الوطني .

---

[18] فؤاد نصر الله، المصدر السابق.

[19] المصدر نفسه.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

- اسناد المناصب القيادية لكافة أطياف المجتمع، فهذا يسهل عملية إثراء الإندماج الوطني لوجود مساحة مناسبة لاتخاذ قرارات لا تمس السيادة بل تضفي قدرا كبيرا من الشعور بالانتماء عبر الفضاءات الواسعة من الجغرافيا .

المبحث الثالث: مفهوم الهويـة:

يمكن النظر للهوية من خلال أركانها أو مقوماتها ومرتكزاتها مثل الدين واللغة والقيم والأخلاق. الملاحظ أن هذه العناصر تتقاطع مع معظم عناصر الثقافة. لكن هناك من يُعرِّف الهوية تعريفاً لغوياً فيقول "الهوية" هي من كلمة "هو" – بضم الهاء وكسر الواو المشدَّدة. والهُوِّية بمعنى الماهية (ما هو؟ وما هي؟) – أي حقيقة الشخص أو الشيء المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره.[20] كما يعرّفها آخرون بأنها "مجموعة من الأوصاف والسلوكيات التي تميز الشخص عن غيره."[21] لكن هناك من يرى ضرورة التلازم بين جانبين أو بُعدين مهمين في الهوية وهما جانب "التصورات والتصرفات، أي الجانب الفكري الاعتقادي الذهني المعنوي والجانب العملي الواقعي."[22] وكما أن للفرد هوية فكذلك للمجتمع هوية وللأمة هوية. وهوية المجتمع تنطلق من أفراده، إذ للهوية "علاقة أساسية بمعتقدات الفرد ومسلماته الفكرية وبالتالي تحدد سمات شخصيته،"[23] وأطر سلوكه وتصرفاته. ويمكن لعدة إثنيات أن تشكل هوية واحدة يجمعها الدين واللغة مثل الهوية الإسلامية والهوية العربية والهوية الزنجية. فمثلاً توجد إثنيات وأقليات في الوطن العربي تجمعها الهوية العربية مثل الدروز، العلويين، والموارنة. كما أن هناك نماذج من الهويات، مثل الإسلامية–العربية، يمكن أن يكون قوامها ثقافة.

يعترف ويتفق العلماء بأن مفهوم الهوية معقد جداً. فجوهر المفهوم يجد تفسيرات في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي. فقد ذهب سيجموند فرويد إلى أنه يرتبط بخاصية أصيلة في الفرد تتمثل في غريزة الانتماء. فالإنسان حيوان اجتماعي. وينطوي هذا المفهوم على نزعة الإنسان إلى أن ينسب نفسه إلى كيان ما وأن هذا الانتماء

---

[20] محمد إسماعيل المقدم، ندوة منشورة في مجلة البيان اللندنية، www.albayan-magazine.com/Dialogue/101/

[21] الشبكة الإسلامية، صراع الهويات وخصائص الهوية الإسلامية:www.Islamweb

[22] صالح القريح، **الهوية الإسلامية**: حقيقتها ووسائل الحفاظ عليها، (ورقة مقدمة في المؤتمر العلمي السادس "الهوية الإسلامية في عالم متغير"، كلية الشريعة، جامعة جرش، الأردن، 11/20 – 12/2/ 2004)

[23] إسلام أون لاين، **صراع الهويات**، المصدر السابق

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

يقوم على العاطفة وبالتالي يمكن أن تقوم الهوية على أســـاس عاطفي (emotional). وتنشـــأ الهوية في اللاوعي، ويكون لها قوة الدافع أو الباعث في سلوك الفرد. ويظهر ذلك من تجلياتها الارتدادية واللاعقلانية(irrational) .[24]

لكن يرى آخرون أن هذا التفسـير الفرويدي لعمليات تشـكيل الهوية، الذي يركز على العاطفة، متناقض لأنه يفرز مشكلة في التحليل العلمي مثل التساؤل حول: متى يحدث الفعل الإيجابي؟ ومتى يحدث رد الفعل السلبي؟ وما الذي يسود في النهاية – الفعل الإيجابي أم السلبي؟

جانب آخر من التعقيد يتمثل في تعدد أشكال الهوية. ومع تعدد أبعاد الهوية وأشكالها إلا أن البعد السياسي هو الذي يهم هذا الكتاب. هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الهوية السـياسـية نفسـها تتأثر بالأبعاد النفسـية والدينية والاجتماعية والإثنية كما هو في الحالة السودانية. فانتماء الشخص لجماعة ما – بغض النظر عن كون هذه الجماعة سياسية أم لا – يرتبط بعمليات نفسية لها علاقة بالسلوك السياسي؛ وذلك مثل أن تتحقق هوية الشعب بانتمائه لأمة nation، أو لحركة آيديولوجية، لحزب سـياسـي، لطبقة اجتماعية، لجماعة إثنية، أو حتى لجماعة مهنية، أو لعقيدة دينية ونحو ذلك.[6] فمن ناحية سياسية فإن الهوية السياسية تعني "احساس الفرد بالانتماء لجماعة إذا كان ذلك الانتماء (الانتماء على أساس الهوية) يؤثر في سلوكه السياسي."[25] من ناحية سايكولوجية، يرى فرويد، أن الهوية تعبر عن ارتباط عاطفي للفرد بجماعة ما (emotional ties) وينعكس ذلك على سلوكه [26] – بما في ذلك سلوكه السياسي. لكن يرى البعض أن الطبقة الاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد يمكن أن تشكل تأثيراً على سلوكه. وكذا الدين والإثنية أو العرق. فحتى في الدول الغربية المتقدمة، مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، كان للدين تأثير في السلوك السياسي حيث لعبت الهوية عامل مستقل كباعث في السلوك الانتخابي (motivating voting behaviour). فمثلاً منذ ثلاثينات القرن العشـــرين ظل الكاثوليك الأمريكان يصـــوتون للحزب الديمقراطي. هذا التأثير مســـتقل عن الوضـــع الاجتماعي/الاقتصادي أو حتى الانتماء الإثني (ethnic identification).[27]

لكن تختلف مكونات الهوية من دولة إلى أخرى وربما من عصر إلى آخر. فالهوية السياسية في دول الغرب مثلاً تختلف أيضاً من دولة إلى أخرى. ففي بعضها يشكل الانتماء لحزب سياسي عصب السلوك السياسي والموقف الانتخابي. فالأحزاب النرويجية تحصل على أنصار ومؤيدين من جماعة دينية ومهنية وطبقات معينة. وهذه الهويات

---

[24] David Sills (ed.), Encyclopedia Britanica, Macmillan Company and Free Press,London, 1972, Vol. 7, p. 58

[25] المصدر نفسه، ص 57

[26] David Sills, Ibid, p. 57.

[27] Lipset Seymour, Religious and Politics in the American Past and Present, USA, 1964, pp. 69- 126.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 ص.ص : العدد الثامن عشر ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

والانتماءات هي التي تعزز الهوية السياسية بالمقارنة مع الولايات المتحدة حيث يكون الانتماء للحزب نفسه يشكل قاعدة أساسية للإختيار – مرجعية لاختيار مستقل نسبياً عن تأثير الانتماء للجماعات أو المكونات المختلفة.[28] بمعنى أن الفرد يصوت للحزب الديمقراطي بغض النظر عن انتمائه لجماعة السود أو الأنجلو–ساكسون أو اليهود مثلاً.

على الرغم من هذه التعقيدات في تعريف الهوية إلا أنه في السودان شكّل الدين الإسلامي واللغة والثقافة العربية قاعدة أساسية للهوية للجماعات المختلفة في شمال السودان. هذه الهوية العربية/الإسلامية أضعفت الهويات الأخرى – مثل الإثنية. غير أن الهوية الإسلامية/العربية لم تقض على الهويات الأخرى لكن احتوتها من خلال عملية استيعابية شكلت مصدراً للاستقرار النسبي والتعايش السلمي لمختلف الإثنيات لفترات طويلة. أي أن الدين مثل الآيديولوجية يمكن أن يشكل حاضناً للهوية عندما يكون هو المرجعية في القيم والمواقف والسلوك. وكذلك الإثنية يمكن

أن تكون محور للهوية. وهي بالفعل كذلك في كثير من الدول خاصة المتخلفة حيث ما زالت الإثنية تشكل عصب البناء الاجتماعي والانتماء السياسي إلى درجة أن النخب أصبحت تتمترس بالإثنية في كسب التأييد الشعبي والوصول للسلطة. وأحياناً تطغى الإثنية حتى على العقيدة الدينية في التأثير على السلوك السياسي.

ففي الواقع السوداني على الرغم من أن الإثنية والدين يشكلان مكونات حيوية للهوية إلا أنه أحياناً يطغى تأثير الإثنية على الهوية – خاصة الهوية السياسية. وقد طغى تأثيرها على العامل الديني عندما تم تسييس الدين ولم يعد هو (الدين) يشكل المرجعية أو المظلة الاستيعابية الفاعلة فتحركت ديناميات الهوية من منصة الدين إلى منصة الإثنية. وهناك الكثير من الأمثلة أو شواهد من الواقع السوداني في هذا السياق. فقصة داؤود يحي بولاد المعروفة الذي كان من كوادر الحركة الإسلامية المخلصين والنشطين منذ أن كان طالباً في جامعة الخرطوم في سبعينات القرن العشرين. كان بولاد من أبناء دارفور. وبعد أن تخرج رأى أن أهله في دارفور يعانون. ويبدو أن عاطفة العنصرية ممزوجة بالشعور بالظلم تغلبت على الإنتماء الآيديولودجي. فانسلخ عن الحركة الإسلامية والتحق بالمعارضة المسلحة متحالفاً مع الحركة الشعبية لتحرير السودان التي يقودها (الراحل) العقيد د. جون قرنق. ويُقال أنه عندما قابل قرنق قال لقرنق "الدم غلب الدين" في إشارة لإنسلاخه عن الحركة الإسلامية وانحيازه لأهله في دارفور إثنياً أو عنصرياً. كذلك هناك حالة د. خليل إبراهيم الذي انسلخ عن الحركة الإسلامية، دينياً أو آيديولوجياً، وانحاز

[28] August Campbell, and Henry Vallen, Party Identification in Norway and the United States, Public Opinion Quarterly , 25, 1961, pp 505- 525. In: David Sills, op. cit. p. 60.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لأهله من خلال قيادته لحركة التمرد الدارفورية (حركة العدل والمساواة) وأصبح من ألد أعداء الحركة الإسلامية الحاكمة في الخرطوم حيث قاد محاولة إنقلابية ضدها في 10 مايو/آيار 2008 وفشل.[29]

(3):1/ الإثنيـــة: الظاهرة والمفهوم:

I: الظاهرة الإثنية:

تكتسب مسألة الإثنيات في عالم اليوم أهمية كبرى، فبعد أن ساد إعتقاد في خواتيم القرن العشرين بأن الإنسان في ترقيه في سلم الحداثة سيصل إلى درجة تتلاشى فيها الانتماءات الإثنية والثقافية ليحل محلها الانتماء الطبقي – في المفهوم الماركسي – أو ليحل محلها الإنسان الأخير – حسب تعبير فرانسيس فوكوياما،[30]جاءت الوقائع لتثبت خطأ هذه التنبؤات، فشهد العالم تصاعداً في الاهتمام بهذه الولاءات والانتماءات.

يبدو أنه كلما زاد تعرض المجتمعات لموجات التحديث سابقاً أو العولمة حالياً، زاد حماسها للبحث عن جذورها. ومن أمثلة ذلك ما حدث في تركيا ودول آسيا الوسطى وجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق. وتزداد هذه الظاهرة كلما كانت هناك سلطة مركزية قابضة تهمش الثقافات الوطنية الأخرى أو تقصي الثقافات المحلية فتكبتها ولا تجد طريقاً للتعبير عن نفسها فيكون رد الفعل انفجاراً في شكل حروب أهلية أو ظهور حركات متعصبة.[31]

نشأت الدولة القومية في أوروبا معتمدة على الإثنية بصورة أو بأخرى وذلك في أعقاب صلح ويستفاليا الذي أنهى الحروب الدينية في عام 1648م. ومع ذلك فإن الدول المتجانسة إثنياً لا تشكل أكثر من 10% من مجموع دول العالم في مقابل 90% من الدول المتعددة الإثنيات.[13] واكتسب مصطلح الإثنية في العقدين الماضيين قدراً عظيماً من الأهمية في القاموس السياسي الاجتماعي وذلك بعد أن بدأت حدة استقطاب الأيديولوجيات الشمولية (الأممية) و(القومية) تخف، وبعد أن بدأ الباحثون في ميادين السياسة والاجتماع يتحررون من خشية الوصم بـــ (البدائية) أو التخلف إن هم عادوا للاهتمام بوحدات أصغر وأضيق بعد أن تبين لهم إلحاح هذه الوحدات الأصغر في التأثير على مجرى وتطور الحياة السياسية والاجتماعية ومدى ما يسببه تجاهل وإغفال وجودها من كوارث.

وقد عمد كثير من الباحثين إلى إيجاد خصائص للإثنية تميزها عن (القومية) وعن العنصرية في آنٍ وتجد لها صياغات كواقع اجتماعي وكأيديولوجيا. وعقدت مقارنات كثيرة بين المجموعة الإثنية (ethnic group)، والأمة (Nation) ، وبين الآيديولوجيا الإثنية (ethnocentrism)، وبين أيديولوجيا الأمة أو القومية (Nationalism).

---

[29] عبده مختار موسى، مسألة الجنوب ومهددات الوحدة في السودان، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009، ص 127.

[30] فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وآخر البشر، ترجمة حسين أمين. في: عبده مختار موسى، المصدر السابق، ص 127.

[31] عبد الرحمن الغالي الجعلي، التعدد الإثني والديمقراطية في السودان، (تحرير حيدر إبراهيم علي)، أوراق مختارة من ندوة: "التعدد الإثني والديمقراطية في السودان"، الخرطوم: 18-19 مايو 2002، ص 32.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وهناك إجماع على أن المجموعة الإثنية أصغر وأضيق من الأمة. وأن "الإثنية" ألصق بالتركيب النفسي والمزاج الاجتماعي من القومية. والمجموعات الإثنية كما يرى سميث "بالضرورة مقصورة على أفرادها الذين ينتسبون إليها وينحدرون من أسلافها بينما تكون الأمة رابطة تقوم على أسس ثقافية وسياسية". على أن سميث ينبه إلى خطورة إمكانية تتبع وارجاع أصول الأمة إلى المجموعات الإثنية القومية، وإرجاع القومية Nationalism إلى الإثنوية ethnocentrism، وخطورة هذا أنه ينتهي إلى "العنصرية"(Racism). ولهذا فمن الضروري التفريق بين:[32]

المجموعة الإثنية: كمجموعة أفراد تنحدر من نفس الأسلاف وتوحد بينها خصائص بيولوجية وأنماط سلوكية وراثية لا تتوافر إلا لمن يُولَد أو ينشأ داخل تلك المجموعة الإثنية المعنية.

(أ) الإثنية: وهي الانتماء والشعور بالولاء لمجموعة إثنية بعينها.

(ب) الإثنوية –كأيديولوجيا ethnocentrism أو التمركز حول الذات. وهي مصطلح نفسي يعبر عن التحيز إلى مجموعة إثنية بعينها ضد المجموعات الإثنية الأخرى وتفضيلها عليها، وتصور خصائص لها تميزها على كل المجموعات الأخرى مما ينتهي بها إلى شئ من العنصرية.

أما العرق أو العنصر هو أحد المكونات الضرورية والأساسية للمجموعات البشرية على أساس بيولوجي يوجد خصائص مميزة مثل الشكل والتركيب العضوي واللون وافتراض وجود جينات موروثة مشتركة. أما "العرقية" أو "العنصرية" فهو ما قد ينتج من إرجاع "القومية" إلى "الإثنية"، ثم تركيز الإثنية على الاعتداد بالجانب البيولوجي الذي يقود إلى الإيمان بتميز عنصر على عنصر وعرق على عرق فيقود إلى تلك الصراعات والكوارث التي وصلت قمتها في ألمانيا فترة النازية وفي جنوب أفريقيا في عهد الأبارتايد.[33] وتعبر عن نفسها في كثير من دول العالم ومن بينها السودان.

II: مفهوم الإثنية:

كما سبقت الإشارة فإن الإثنية تشكل أهم مكوّن في بنية الهوية خاصة في العالم الثالث. وهذا يستدعي الوقوف عند مفهوم الإثنية لأن البحث سوف يستند إلى حد كبير إلى هذا العنصر في سياق تحليل أثر الهوية في علاقات الشمال والجنوب في السودان.

---

[32] المصدر نفسه.

[33] خالد الكد،الذاتية السودانية بين القومية والإثنية والعنصرية، في التنوع الثقافي وبناء الدولة الوطنية في السودان، أبحاث ندوة مركزالدراسات السودانية، 1-3 إبريل 1995، القاهرة، ص ص 85- 86.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

في معجم أكسفورد شرح كلمة Ethnic متعلقة بالعرق (race). والعرقية لا تعني سواء انتماء جيني إلى مجموعة بشرية محددة (سامية أو حامية أو آرية). ولا تعني بالضرورة انتماءك الثقافي الذي يحكم آراءك وتصوراتك ونمط حياتك المعيشي، والأهم هويتك. بينما يمكن الاعتراف بأنه ليس بالضرورة أن تحدد الإثنية الانتماء الثقافي بصورة مطلقة، إلا أنه في الواقع – في كثير من المجتمعات النامية أو التقليدية نجد هنالك تلازماً واضحاً بين الانتماء الإثني والواقع الثقافي.[34] فمثلاً في السودان نجد كثيراً من المجموعات العرقية (أو الإثنية) تحمل خصائص ثقافية متميزة مثل النوبيين في شمال السودان، والنوبة في جنوب كردفان، والأنقسنا في جنوب شرق السودان، وكذلك قبائل الجنوب. فكلها لها تراثها وتقاليدها وعاداتها وقيمها وأنماط سلوكها التي تميزها عن بقية المجموعات العرقية في السودان. وجود هذه المجموعات في ظل الدولة السودانية حتمته ظروف تاريخية موضوعية وتعايش جغرافي بحت.

كل هذه الإثنيات التي أشارت هذه الدراسة لنماذج منها لم تندمج أو تنصهر حتى الآن في ثقافة سودانية واحدة. لذلك يصح الحديث عن قوميات سودانية وهويات سودانية. وقد شكل الدين الإسلامي والثقافة العربية عوامل ربط بين معظم هذه الإثنيات وشكل هذان العنصران رابطاً سياسياً في إطار دولة مركزية؛ ولكن بقيت الإثنيات حاضرة في داخل هذا الكيان السياسي المتماسك بفعل أطروحة الدين الإسلامي الشاملة الجامعة واللغة العربية التي تعكس تفوقاً ثقافياً يسمو على الثقافات الأخرى الخاصة بكل جماعة إثنية. غير أن هذه الانتماءات الإثنية والثقافية (الهويات) سرعان ما تظهر إلى السطح متجاوزة الانتماء لكيان الدولة السياسي كلما شعرت أي من هذه المجموعات أن كيانها الإثني–الثقافي مهدد سواء كان من ناحية التعبير عن هويتها أو مصالحها الاقتصادية.

غير أن مفهوم الإثنية ظل من أكثر المفاهيم إثارة للخلافات وعدم الاتفاق حول مضامينه ودلالاته حيث يستخدمه البعض أحياناً لوصف جماعة فرعية أو أقلية والإفصاح في الوقت نفسه عن جماعة أساسية أو أمة، كما أنه يتسع ليشمل كل أشكال التمايز لتصبح الجماعة الإثنية بمثابة "خط متواصل يبدأ بالقبيلة وينتهي عند الأمة."[17] كما أن دراسته لا يمكن أن تتم بمعزل عن الظواهر أو الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في المجتمع مثل طبيعة النظام، والمهن، والطبقات الاجتماعية، والثقافة.

لقد أصبحت الإثنية بتعدد دلالاتها تشكل تهديداً للاستقرار السياسي لكثير من الدول لأنها تهدد بخلق كيانات سياسية جديدة وتؤدي إلى انقسامات أو تحالفات جديدة. وبعض هذه الوحدات الصغرى (الإثنية) التي تقوم على روابط

[34] عبده مختار موسى، صراع الهويات ومهددات الوحدة في السودان، الخرطوم:مركز السودان للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2007، ص 8.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
العدد الثامن عشر : ص.ص 290 -321 ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

العرق، الدين، والإنتماء القبلي بدأت بتقوية علاقاتها الداخلية مؤكدة وجودها، مؤثرة في سياسيات الحكومات. وفي حالات محددة يكون وجود الحكومات مرتبطاً بالتوجهات السياسية لهذه الوحدات الاجتماعية.[35]

هذا التوصيف يقترب كثيراً من وصف الحالة السودانية مثل النوبة في جبال النوبة بالسودان, والأفارقة مقابل العرب في دارفور، والأقليات العرقية في شرق السودان (مثل البجا الذين كان لهم كيان سياسي خاض الانتخابات عدة مرات وحصل على 10 مقاعد في البرلمان في انتخابات عام 1965).

وفي سياق عدم الدقة في استخدام هذا المصطلح يرى البعض أنه يطلق لوصف الواقع الثقافي لمجموعة بشرية، وهو يُطلق على مفاهيم تنطبق على العرق، الحضارة، الشعب، والقبيلة. فقد يكون المقصود مجموعة لغوية كما هو الحال بالنسبة لقبائل الهوسا في نيجيريا والنيجر، أو عرقياً وهو ينطبق على سكان أفريقيا من غير أبنائها الأصليين. وهذا يضفي مرونة على المصطلح ليشير للجماعات البشرية التي تتميز ثقافياً عن غيرها بقيمها الثقافية ولغتها المشتركة.[36]

عبارة "تتميز ثقافياً" تلتقي مع تعريف قاموس علم الاجتماع لمفردة "إثنية" للتعبير عن جماعة فرعية "ذات تقاليد مشتركة تتيح لها شخصية متميزة كجماعة فرعية في المجتمع الأكبر. ولهذا يختلف أعضاؤها من حيث خصائصهم الثقافية عن الأعضاء الآخرين في جماعات أخرى أو في المجتمع، وقد يكون لها أعراف مميزة وربما يكون الشعور بالتوحد كجماعة متمايزة من الناحية التقليدية."[37] هذا التعريف يلتقي مع المنظور الذي يتبناه هذا البحث للإثنية كعنصر أساسي – بجانب الثقافة – في تشكيل الهويات في السودان وبخاصة مسألة علاقة الجنوب بالشمال.

هذا المدلول أيضاً يتفق مع ما ذهب إليه برهان غليون في حديثه عن "الهوية الإثنية وما ذهب إليه بعض الباحثين في حقل الإثنولوجيا الذين يرون أن الإثنية إنما هي: "جماعة من السكان فرعية أو صغيرة نسبياً تعيش في مجتمع أكبر. وأن هذه الجماعة تربط بين أفرادها، أو يوحد بينهم، روابط العرق, والثقافة ... "[38] مضافاً إليه مكونات الإثنية مثل الدين والعادات واللغة؛ وهذا يقترب من استخدام هذا البحث للمصطلح في توصيف الحالة الجنوبية السودانية حيث إن "روابط العرق والثقافة" في جنوب السودان تتمثل في الزنوجة والأفريقاينة مضافاً إليها العادات التي تختلف عن عادات الشمال وكذلك اللغة. أما بالنسبة للدين فالمسيحية استخدمتها النخبة الجنوبية مقابل هوية الشمال

[35] أنظر: شفيق الغبرا، الإثنية المسيسة: الأدبيات والمفاهيم، ص 44، في عبد السلام إبراهيم بغدادي، الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في أفريقيا (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2)، ص 97.

[36] رياض عزيز هادي، السياسة في العالم الثالث، ط2 (بغداد: جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، 1989ن ص 429.

[37] سعد الدين إبراهيم، نحو دراسة سوسيولوجية للوحدة العربية: الأقليات في العالم العربي، قضايا عربية، اسنة 3، الأعداد 1- 6 (نيسان/إبريل – أيلول/سبتمبر 1976)، ص 17.

[38] Ethnic Group: In David Sills (ed.), op. cit., p. 58.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

التي تستند إلى الدين الإسلامي واللغة العربية في تماسكها. يعزز اتجاه هذا البحث في استخدام المصطلح لوصف الحالة الجنوبية في السودان ما ذهب إليه تعريف اليونسكو التي تستخدم مفهوم الإثنية في السياق الذي ورد في الموسوعة البريطانية كمرادف للعرق (Race).

هناك نفر من الباحثين استخدم مفهوم الإثنية بمعنى القومية Ethnic nationalism) والتي على أساسها ظهرت دول في أوروبا مثل بلغاريا، ألبانيا، فنلندا، تشيكوسلوفاكيا {التي انقسمت إلى دولتين}، هنغاريا {أو المجر}، يوغسلافيا {والتي انقسمت إلى خمس دول}، وغيرها.[39] ولا يستبعد هذا البحث أن تنشأ في يوم ما دولة في جنوب السودان على أساس الهوية الإثنية–الثقافية، مستندة إلى قاعدة السياسة (أو التسييس). والإثنية المسيسة ظاهرة منتشرة في العالم اليوم. وقد أطلق على الإثنية بهذا المستوى الكثير من الأسماء مثل "الوعي الإثني" و "التسييس الإثني" و "الإدراك الإثني" و "الوطنية الإثنية"؛ وكلها تنطبق على الحالة الجنوبية السودانية. ويمكن القول إن في الحالة الجنوبية يمكن استبعاد عنصر الدين وذلك لأن الجنوب تتعدد فيه الأديان كما أن هذه الديانات جاءت في وقت لاحق لكيانات عرقية موجودة أصلاً متميزة بالخصائص الأخرى للهوية. وكانت المعتقدات السائدة هي بدائية (primitive) ووثنيات متعددة. ومن ناحية السلالات فهي – في الجنوب – تتراوح ما بين حاميين ونيليين وزنوج وغيرهم. وكلها تجمع بينها سمة واحدة هي أنها "غير عربية" في مقابل (أغلب) الشمال.

وبعيداً عن الجدل بين مفهوم الأقلية والإثنية فإن هذه الدراسة تستبعد مفهوم الأقلية لأن الأقليات قد تكون جماعات إثنية أو غير إثنية كأن تكون أقلية دينية مثل الأقباط في مصر، أو لغوية مثل البربر في المغرب العربي، أو قومية مثل الصوماليين في كينيا، أو العرقية مثل الزنوج في موريتانيا، أو قبلية مثل التوتسي في رواندا وبوروندي, أو أقلية وافدة مثل الآسيويين والهنود في أفريقيا – يجمعها نطاق جغرافي تشعر بالانتماء إليه، يوحد بينها الإحساس بالظلم من قِبل المركز فيكون طابعها اقتصادياً تجمعها مصالح مادية تسعى لتحقيقها بموقف موحد تجاه السلطة المركزية رافضاً لسياساتها ومطالباً بالعدالة.

إن المشكلة الإثنية لا تنحصر في الدول المتخلفة فعلى الرغم من الحداثة فإن التعدد الإثني ظاهرة عالمية. وهي – عدا بعض الاستثناءات – السمة المميزة لدول العالم.[40] وفي سياق تصعيدها لمطالبها قد تتسبب الأقليات في أشكال من العنف السياسي وتهدد الوحدة الوطنية واستقرار الأوضاع الداخلية للدولة.

---

[39] John Stone, Ethnicity Versus the State: the Dual Claims of State Coherence and Ethnic Self-determination, in Rotchild and Olorunsola, (eds.,) State Versus Ethnic Claims: African Policy Dilemma, pl 85.

[40] نيفين عبد المنعم مسعد، الأقليات والاستقرار السياسي في الوطن العربي: أطروحة دكتوراة، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1987، ص 7، في بغدادي، مصدر سابق.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
العدد الثامن عشر : ص.ص 290 -321 ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إذا أخذنا مدخل الإثنوغرافيا باعتبارها العلم الخاص بوصـــف الثقافة وحياة الناس كجماعة متميزة فالسودان مجتمع متعدد الثقافات، متعدد الأديان، متعدد الأعراق. وقد قسمت الدراسات العلمية سكان السودان (قبل الانفصال) إلى مجموعات إثنية كل منها تشكل نسبة محددة كما يلي:[41]

المجمـوعة العرقيــة	نسبتها إلى إجمالي السكان
العـرب	%39
الجنوبيـون	%30
مجموعة الغرب (الأفارقة)	%13
النوبة (جنوب كردفان)	%6
البجا (شرق السودان)	%6
النوبيون (أقصى شمال السودان)	%3
مجموعات متنوعة أخرى وأجانب	%3
	%100

لكن قد يصـدق القول أيضـاً إن التنوع اللغوي أو الديني أو العرقي أو القومي قد لا يشـكل في حد ذاته خطراً على الاستقرار السياسي للدولة المعنية، إنما تسييس التنوع هو الذي يؤدي إلى ذلك. وهذا هو الطابع السائد في معظم دول العالم الثالث، والسودان ليس استثناءً.

المبحث الرابع: خلفيات تشكيل الهوية السودانية:

لقد كان الاعتقاد السـائد وسـط علماء الأنثروبولوجيا أن السـودان دولة أفريقية–عربية. وقد ظل هذا الاعتقاد يشكل أحد المسلمات لدى أي باحث عند توصيفه للسودان. وأضـاف البعض كلمة إسـلامي أو مسلم، فأصـبح يُنظَر للسودان بأنه قطر عربي–أفريقي مسلم. غير أن هذا التوصـيف الأخير غير مقبول لدى الجنوبيين في السودان الذين يرون أن كلمة "عربي–مسلم" هي شأن خاص بالشمال فقط. وحتى بالنسبة للشمال لديهم تحفظ فحواه أن الشمال ليس

[41] Agang Beyour, Ethnography and Population in Sudan:
في حيدر إبراهيم علي، (تحرير)، التعدد الإثني والديمقراطية في السودان، المصدر السابق، ص 140.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
العدد الثامن عشر : ص.ص 290 -321 ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

كله مسلماً وليس كله عربياً حيث أن هناك بعض المناطق في شمال السودان زنجية ومسيحية مثل قبائل النوبة في كردفان – لكن ليس كلهم مسيحيون فهناك مسلمون ووثنيون. كذلك هناك مجموعات كبيرة في الشمال اعتنقت الإسلام ولكنها ليست من أصول عربية مثل النوبيين في شمال السودان، والأنقسنا والفونج والفور، وغيرها؛ ومعظمها تشير ملامحها إلى أصلها الأفريقي الصافي غير المختلط بالعرب. ومن ناحية الأديان نجد أن الأغلبية مسلمة (73%)، وتشكل الأديان المحلية (17%)، والمسيحيون 8%. اللغة العربية يتحدث بها 51% من السكان، واللغات النيلية يتحدث بها 17,7% من السكان, و 11% يتحدثون لغة الدينكا. ويتحدث 21,1% بلغات غير العربية في الشمال.[42]

بالإضافة إلى التكوين الأنثروبولوجي فإن مسألة الهوية في السودان قد تعقدت **بالتنوع الديني**. وعلى الرغم من سماحة الإسلام المعتدل – الإسلام الشعبي الصوفي– السائد في السودان وقدرته على التعايش السلمي مع المسيحية، إلا إن عملية تسييس الدين باعتماده أحد التباينات التي تميز هوية الشمال عن الجنوب زاد من تعقيد المسألة السودانية. وقد اهتمت الحركة الشعبية لتحرير السودان في أدبياتها بالبعد الديني حيث كانت تنظر للنخبة السياسية الحاكمة في الخرطوم على أنها تقود حملة أيديولوجية جديدة.

يختزل الجنوبيون الهوية العربية الإسلامية في أقلية وافدة تم استيعابها في المجتمع السوداني التقليدي مع تمتعهم بمكانة متميزة واضحة. إن ذلك يمكن أن يُفسِّر وبوضوح حقيقة أنه برغم التقدم النشط في الاستعراب والأسلمة عند دخول الإسلام، إلا أن تلك المناطق ظلت في موقف حساس بين تمسكها العاطفي، بشخصيتها الأصلية بكبرياء، وبين تبنيها العملي للثقافة ووجهات النظر السياسية العربية."[28] ويرى فرانسيس دينج مثلاً أنه حتى المجموعات الشمالية التي كانت نتاجاً للاستعراب اكتسبت خصائص وسمات أفريقية بسبب تداخل الجنوب مع الأقاليم الشمالية. وأن لعملية جلب الإماء (المسترقات) من الجنوب – الذي تواصل بدون انقطاع لقرون – قدراً من التجانس المزيَّف غير الحقيقي بين كل أولئك النوبيين.

غير أن دينج يعترف بتأثير الإسلام ودوره كعامل رئيس في تشكيل الهوية الحالية (لشمال السودان) وقد تفوق الإسلام على كل الحضارات التي سبقته، ضمت الإمبراطورية الإسلامية مصر أولاً، ثم أرسلت غزوات للسودان. وبرغم نجاح المقاومة السودانية في إيقاع خسائر عظيمة على العرب الغزاة إلا أنها في النهاية لم تتمكن من مقاومة القوة العربية الأكثر تقدماً. بعدها سعى الطرفان (السودانيون والعرب المسلمون) للسلم وعقدوا اتفاقيات مع النوبيين (651 – 652م) ثم مع البجا 831م. وتم عقد تلك الاتفاقية تحت ضغط القوة العسكرية المتقدمة للعرب مما حقق

[42] عبد الله علي إبراهيم، الماركسية ومسألة اللغة في السودان، الخرطوم: دار عزة للنشر، 2001، ص 26.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

للعرب امتيازات على السودانيين.[43] الملاحظ هنا أن فرانسيس دينج يستخدم مفردة "العرب" للغزاة، و"السودانيين" للسكان الأصليين الذين هم أصلاً ليسوا بعرب بل "استعربوا" بفعل غزو العرب للسودان ومصاهرتهم لهم.

وفي سياق هذا التحول الجذري في **الهوية المحلية** تطور الإسلام والعروبة بواسطة زعماء الصوفية الذين "كانوا انتقائيين في تعاملهم مما أعطى العملية بعداً سودانياً مميزاً."[44]وقد نقل الدعاة المسلمون الوافدون إلى السودان من مصر والحجاز والمغرب الطرق الصوفية في القرن الثاني عشر والثالث عشر. ومع مطلع القرن الثامن عشر كانت هذه الطرق قد توطدت وبعمق في البلاد، محققة بذلك أكثر أنواع التغلغل الديني والنفوذ السياسي عمقاً وانتشاراً.[45] فقامت الطرق الصوفية كي تواصل تعاليم الآباء المؤسسين أو الشيوخ. وتوسع نفوذ هذه الطرق جزئياً لأن طبقة التجار المتنامية رأت في الإسلام عاملاً يمكن استغلاله ضد النظام الإقطاعي التقليدي الذي كان يحد من نشاطها كما توسعت الطرق الصوفية بسبب قبولها وبسبب دعم السلاطين والملوك الذين تحولوا إلى الإسلام وللطرق الصوفية بشكل واسع.[46]

تجاوز المهدي حدود الوطنية السودانية وطرح فكرة الأمة الموحَّدة عن طريق حشد الدعم المعادي للأتراك. لكن الملاحظ أن المهدي كان معادياً لزعماء الطرق الصوفية. فقد عمل على "تقويض نفوذهم السياسي والديني دافعاً عملية توسيع الهوية في اتجاه الخط الإسلامي."[37] هذا الاتجاه – الإصلاح الإسلامي – قاومته الختمية وأدى ذلك إلى ظهور انقسام جديد بين الطرق الصوفية.

لم تساعد الظروف الدولة المهدية في أن تحقق أهدافها فقد توفي المهدي بعد بضعة أشهر من انتصار ثورته بقتل شارلس غوردون الحاكم البريطاني – وبطل الحرب الصينية سابقاً – ثم الخلافات في ظل الخليفة عبد الله التعايشي بين أبناء الغرب وأبناء البحر (الأشراف) و"تدهور القانون والنظام والمجاعة الناتجة عن الجفاف والحرب وعدم مقدرة الدولة لمجابهة الطوارئ،"[47] كلها عوامل حالت دون استكمال مشروع الهوية الإسلامية الكبير للمهدوية السودانية.

---

[43] فرانسيس دينج، صراع الرؤى: نزاع الهويات في السودان، ترجمة عوض حسن، القاهرة: مركز الدراسات السودانية،الخرطوم:مركز الدراسات السودانية، 1999، ص 44.

[44] Tim Niblock, Class and Power in Sudan, University of New York Press, 1987, pp. 161 – 162.

[45] فرانسيس دينج، المصدر السابق، ص 46.

[46] Mansour Khalid, the Government They Deserve: The Role of the Elite in Sudan's Political Evolution, Kegan Paul, London and New York, 1990, p. 4.

[47] Mohammad Omer Beshir, Revolution and Nationalism in the Sudan, Barnes and Noble, 1974, p. 16

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

جاء الحكم الثنائي (الإنجليزي-المصـــري) في عام 1899 وهو بريطاني في جوهره، وهو علماني. لذلك وجدت الإدارة البريطانية المقاومة الدينية في شـكل المهدية الجديدة (neo-Mahdism) بينما ظلت دارفور مسـتقلة وتقاوم حتى عام 1916م. ولاكتســاب الشــرعية حاولت الإدارة البريطانية إظهار احترامها للقيم الدينية المحلية ومؤسـساتها والاعتراف والاحترام **للهوية الإسـلامية للشـمال**، وقرروا أن البلاد مسـلمة وجعلوا الجمعة هي العطلة الرسـمية بدلاً من الأحد. وأُبعدت الجمعيات المسـيحية عن الشـمال لكن سُـمح لها لاحقاً بممارسـة نشـاطها بصـور محدودة في بعض مدن الشمال. وفي مجال التعليم التـــزمت السياسة البريطانية بالطرح الإسلامي، بعدم فصل الدين عن الدولة وتم تدريس الدين كجزء من المنهج في المدارس الحكومية. واستطاع البريطانيون عبر سياساتهم واستغلال السـلطة أن ينجحوا نسـبياً وجزئياً في إعادة صـياغة توجهات السـودانيين نحو أنظمة حديثة دون إبعادهم عن **هويتهم العربية الإســـلامية** مما جعلهم أكثر مرونة وتقبلاً للاختلاف، وباحترامهم للإســـلام تمكَّن البريطانيون من التأثير التدريجي على السودانيين لتقبل فصل الدين عن الدولة.

عندما أدرك البريطانيون صعود المـــد الوطني العلماني وسط الشباب المتعلم، الذين تأثروا، أولاً، بالاشتراكيين الفابيين للعمل من أجل نموذج سياسـي واقتصـادي تقدمي، ثم تحولهم بشكل واضـح نحو القوميين المصـريين للتوجيه الاستراتيجي والتعاون، حينها قرر البريطانيون التوجه نحو قادة الطائفية، خاصـة أنصـار المهدي المعادين للمصـريين، ليصبحوا حلفاء سياسيين لهم. وعبر تخصيص الأراضي والسلفيات الضخمة كرأسمال استثماري، حازت عائلة المهدي على قاعدة اقتصـادية هائلة. وتغير وضـع السيد عبد الرحمن المهدي بشكل مذهل، وبسبب العداء التقليدي بين عائلة المهدي والمصريين، أصبح عبد الرحمن أقرب للبريطانيين.

يرى فرانسـيس أن التمازج والوحدة في الشـمال ناتج بدرجة كبيرة فقط بسـبب المجابهة مع الجنوب. هذا غير صـــحيح؛ لأن الشـــماليين وحدتهم اللغة العربية والدين الإســـلامي أكثر من أي عوامل أخرى. كما أن الجنوب على النقيض من الشمال ظل أكثر السكان عزلة في أفريقيا؛ فالحدود بين الشمال والجنوب تحصنت نتيجة تاريخ مرير من العداوات والاحتقار المتبادل. وبينما تم تخفيف وكســر حدة العداء بتدخل الاســتعمار البريطاني، إلا أنه وبطريقة ما تعمق وتشذب وتواصل حتى داخل الإطار الحالي لبناء الأمة.[48]

أما الأنظمة الوطنية التالية للإدارة البريطانية فقد تأخرت في اكتشـاف المظالم الثقافية والتنموية التي تسـببت فيها السياسات المذكورة، وفي مسألة المشاركة العادلة في السلطة والثروة. فقيام السودنة على أسس الكفاءة المحضة كان خطأً فادحاً، وتبني ثقافة مركزية واحدة مهيمنة دون النظر للثقافات الأخرى والسير في السياسة الاقتصادية على

[48] فرانسيس دينج، المصدر السابق، ص 59.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
العدد الثامن عشر : ص.ص 290 -321 ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

خطا الإدارة البريطانية بمعايير الجدوى الاقتصادية دون النظر للأبعاد الاجتماعية ولمصالح المناطق المهمشة كلها أخطاء تدفع البلاد ثمنها اليوم.[49]

وفي جبال النوبة، مثلاً، أعادت الحكومة تقسيم الإدارات الأهلية بغرض الكسب السياسي أو إضعاف الخصوم مما انعكس سلباً على التعايش. ففي منطقة جبال النوبة حلت الهوية العرقية – في التقسيم الجديد – محل الهوية الإقليمية التي كانت سائدة في الماضي والتي كانت تستوعب الهويات العرقية على تعددها.[50] كذلك في الأنظمة العسكرية عند حظر الأحزاب أصبح الرجوع للقبيلة هو السبيل الوحيد المتاح للتعبير سياسياً. كما أن انهيار الخدمات وتخلي الدولة عن دورها الاجتماعي والخدمي أيضاً ساهم في رجوع المواطنين للقبيلة كمؤسسة ضمان اجتماعي.

على الرغم من النجاح النسبي لمؤسسات ونظم الحكم الاستعماري في تيسير التواصل بين أجزاء السودان وقومياته وخلق شعور عام بالانتماء لكيان واحد، فقد ظلت المؤسسات والنظم قاصرة عن تحقيق البناء القومي المطلوب. إن هذه الخلفية التاريخية تنتهي بنا إلى أن السودان غداة الاستقلال كان كياناً قابلاً للتطور في أي الاتجاهين: إما التكامل القومي والوحدة، أو التناقض والانقسام حسب المدخلات السياسية، الثقافية والاقتصادية. فالتفاعل التاريخي إلى ذلك الوقت أوجد أرضية معقولة كان يمكن أن يُؤسس عليها البناء القومي السليم، ولكنه مع ذلك كان قاصراً عن القضاء على التباينات الإثنية والثقافية، الدينية والاقتصادية التي يمكن أن تغذي الصراع والانقسام.[51]

إن الفوارق الإثنية في الحالة السودانية تحمل في ثناياها الفوارق الثقافية، الدينية والاقتصادية. فالعناصر الزنجية غير العربية هي التي يتركز فيها الوجود غير الإسلامي مسيحياً كان أو وثنياً. كما أن هذه العناصر تحتل في غالبها هامش الحياة الاقتصادية, وهي كذلك ضحية التراتيب الاجتماعية التي أفرزتها الظروف التاريخية بما في ذلك حركة الرق.[52]

هذا يعني أنه في السودان تحمل الإثنية في ثناياها الاختلافات الدينية، الثقافية والاقتصادية. هذا بالإضافة إلى التعقيدات التاريخية التي اكتنفت العلاقات بين الإثنيات، خاصة في عصر الاسترقاق، مما جعل التناقض الإثني تناقضاً مزدوجاً يحمل في أحشائه أبعاداً كثيرة. وقد أفرز هذا الواقع أوضاعاً ومفاهيم جديدة مثل "الإستعلاء الإثنيى"،

[49] عبد الرحمن الجعلي، المصدر السابق، ص 40
[50] يونيكا كورينا، علي عبد اللطيف وثورة 1924، ترجمة مجدي النعيم، مركز الدراسات السودانية (د. ت.)، ص 50
[51] حامد البشير، محاولة لفهم العلاقات القبلية وديناميات الحرب والسلام في جبال النوبة، ترجمة عائشة سليمان، ص 165.
[52] مكي علي بلايل،الديمقراطية والإثنية في السودان (تحرير حيدر إبراهيم علي)، المصدر السابق، ص 9

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 ص.ص : العدد الثامن عشر ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

و "الطبقية العرقية" وما ارتبط بهما من تهميش وحرمان تنموي. أدى ذلك إلى ظهورة حركات احتجاج – ضد المركز – على أساس إثني مما أثر على عملية التعايش السلمي وعلى الاستقرار.

وإذا نظرنا للسودان من الناحية الأنثروبولوجية يضم مئات القبائل وعشرات اللغات. هذه التعددية الإثنية (multiplicity of identities) التي تميز بها السودان دفعت بعض الباحثين للقول بأن الشمال نفسه متماسك أو مربوط (held together) بعرى الإسلام والعروبة. ولولا الدين الإسلامي واللغة العربية لأصبح شمال السودان نفسه مجزءاً إلى عدة دول، لأن الدين واللغة هي أقوى **مكونات الهوية**. لذلك نجد أن الشمال على اختلاف اثنياته تجمعه الهوية العربية الإسلامية بينما الجنوب – أيضاً على اختلاف إثنياته – تربطه الهوية الأفريقية الزنجية المسيحية. لذلك فإن الجنوب توحده "الهوية الجنوبية" تجاه أو مقابل "الهوية الشمالية". ولذلك فإن الهوية هي المحرك الأساسي للصراع حول قسمة الثروة والسلطة. وأن معظم الصراعات في السودان هو **صراع هويات**. هذا التحليل السوسيولوجي مهم لفهم المسألة السودانية فهماً صحيحاً ودقيقاً.[53]

إن الهويات السودانية يمكن الحديث عنها على أساس مستويات مختلفة. يمكن الحديث – مثلاً – عن "هويات صغرى" و "هويات كبرى". فالهوية الجنوبية والهوية الشمالية هي هويات كبرى. لكن الهويات في داخل الشمال تتعايش سياسياً وتتفاعل اجتماعياً وتتواصل ثقافياً. وفي ذلك إثراء للهوية الكبرى (السودانية الشمالية) وهي تقوم على دعائم الدين واللغة. والتحليل ذاته ينطبق على تركيبة الهوية الجنوبية الكبرى التي قوامها الزنوجة والمسيحية؛ مع وجود بُعد نفسي أو عاطفي (sentimental) للهوية الجنوبية مقابل الهوية الشمالية. نسبة المسيحة في الجنوب لا تتعدى الـ 35% لكن أصبح لها تأثير في الهوية ربما بسبب فاعليتها في التأثير على النخب الجنوبية في المجتمع الجنوبي. هذا الجانب الوجداني تراكم عبر العصور باعتبار أن الشمال ينتمي إلى ثقافة أسمى ويضطهد الجنوب ويظلمه وأنه يستأثر بالثروة ويحتكر السلطة.

هذه الأطروحة تقودنا إلى تحليل الهويات الصغرى التي يتشكل منها السودان الشمالي. منطلق التحليل الذي يطرحه هذا المقال يختلف – جزئياً – عن ما يذهب إليه العديد من الباحثين في السودان الذين يتفق معظمهم بأن الصراع في السودان هو "صراع حول الموارد."[54] مع عدم إنكار دور الموارد كعامل مهم في الصراع، ترى هذه الدراسة

[53] عبده مختار، مسألة الجنوب ومهددات الوحدة في السودان، المصدر السابق، ص 151.

[54] بروفيسر حسن مكي، باحث في القرن الأفريقي، مدير جامعة أفريقيا العالمية، في حوار مع التلفزيون السوداني، 2005/9/22.في عبده مختار، مسألة الجنوب ومهددات الوحدة في السودان، المصدر السابق، ص 152.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أن الصراع في جوهره صراع هويات صغرى ومتوسطة وكبرى. وتقصد الدراسة بهذا التقسيم أن الهويات الصغرى والمتوسطة في السودان الشمالي بين بطون القبائل أو بين قبيلة وأخرى. فالصراع حول المياه أو المشاجرات الفردية بين أفراد قبائل مختلفة (أحياناً حول إمرأة أو أبقار أو مبايعة أو نحو ذلك) يختفي في داخل بطون القبيلة الواحدة أو يتراجع لصالح القبيلة الأكبر أو ينتقل من كونه بين أفخاذ القبيلة الواحدة إلى الفرع الأكبر في القبيلة أو إلى المجموعة القبلية الأكبر. مثلاً الصراع بين قبائل المسيرية الحُمُر (فلايتة وعجايرة) يختفي لتتوحد قبيلة المسيرية الحُمُر ضد قبيلة أخرى من قبائل البقارة مثل المسيرية الزرق وهذه هويات صغرى. ثم تتوحد هذه القبائل – وتتجاوز خلافاتها – في مواجهة مجموعة قبلية أخرى خارج هذه المنظومة. وهكذا يختفي الصراع الداخلي في قبيلة واحدة – على مختلف مستويات تقسيماتها الداخلية – إذا كان الطرف الثاني في الصراع (حول الموارد مثلاً) هو قبيلة أخرى (الرزيقات مقابل المعاليا مثلاً) وهذه هويات متوسطة. والمدخل الوحيد لاجتثاث هذه الانتماءات الضيقة للهوية والمواطنة يكمن في نشر التعليم والوعي والتأثير الإعلامي/التربوي لغرس قيم المواطنة ومحاربة القبلية والعنصرية.

لكن على الرغم من انفصال الجنوب (في 2011) يرى الكاتب ضرورة النظر في أطروحات الجنوبيين حول الهوية فهي ما زالت لها اسقاطاتها في الشمال عبر ما يُعرَف بـ "**الكتلة السوداء**" التي تضم مجموعات أفريقية/زنجية كبيرة في شمال السودان مثل النوبة وقبائل جنوب النيل الأزرق وأكثر من عشرين قبيلة في دارفور فهي ذات أصول غير عربية على الرغم من استعرابها واعتناقها الإسلام. ففي حالات كثيرة تتحرك مشاعر الإثنية وتطغى على الانتماء الإسلامي مثلما حدث من انشقاقات وسط الإسلاميين في السودان على أساس عرقي (مكي بلايل في جبال النوبة، وداوود بولاد في دارفور وكذلك دكتور خليل إبراهيم كأمثلة للقيادات والنخب). وهنا تفوقت الإثنية – ممزوجة بمشاعر الحرمان والتهميش – على رابطة الدين كأحد أركان الهوية. وبالتالي من المتوقع أن يكون هناك "جنوباً" جديداً – جنوب ثقافي/إثني – تتشكل على أساسه هوية جديدة في الشمال ويستمر صراع الهويات بشكل جديد مهددا الاستقرار والتعايش السلمي ما لم تتمكن النخبة الحاكمة من معالجة أزمة الهوية والمواطنة على الأسس التي أشارت لها هذه الورقة.

المبحث الخامس: نموذج لمعضلة الهوية والمواطنة:

إن المعادلة الاجتماعية الموجودة في أبيي (بين الدينكا كممثل للهوية الجنوبية، والمسيرية كممثل للهوية الشمالية) هذه المعادلة تعبر عن واقع اجتماعي فرضته ظروف تاريخية موضوعية نتج عن ذلك الواقع ظاهرة يمكن وصفها بعملية تعايش سلمي (peaceful co-existence) وليس تكاملاً ثقافياً أو اندماجاً اجتماعياً (social

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 ص.ص : العدد الثامن عشر ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

(integration. وهناك فرق كبير بين الاثنين. ولذلك عندما أُثير موضوع قسمة السلطة والثروة ورسم الحدود بين الشمال والجنوب اندلعت الاختلافات بين المسيرية والدينكا. بمعنى أن موضوع الهوية ظهر إلى السطح كفاصل جوهري بين الطرفين. وهذا يؤكد أن الصراع هو صراع هويات لأن الطرفين كانا متعايشين في منظومة سلطة واحدة (الإدارة الأهلية) وكانا يشتركان في موارد واحدة. وهنا مثال حي للهويات الكبرى (شمال وجنوب).

لقد تعرضت مدينة أبيي لأحداث عنف دموية بين الطرفين (المسيرية والدينكا) قُتل فيها العشرات وجُرح المئات من الطرفين في أحداث كثيرة خاصة منذ بداية العام 2008 ولا سيما في فبراير/شباط 2008 وقال المسيرية بأنهم أعلنوا الجهاد ضد الجيش الشعبي. ثم تجدد القتال عدة مرات بين الطرفين مما نسف الأمن والاستقرار والتعايش السلمي. وكذلك على الرغم من اتفاق الطرفين – في أغسطس على نقل الأمر إلى محكمة العدل الدولي في لاهاي. وعلى الرغم من كل ذكل استمرت التوترات في المدينة بين الطرفين. كل ذلك يشير إلى صعوبة التعايش بين الطرفين بعد أن ظهر في السطح الحديث عن تبعية المدينة – للشمال أم للجنوب؟ وهذا يشير – ضمنياً – إلى صراع الهوية بين الطرفين. الملاحظة المهمة هنا أن الدينكا والمسيرية تعايشا سلميا لأكثر من قرن بسبب ظروف موضوعية تمثلت في تبادل المصالح، إلا أنه بمجرد أن ظهر إلى السطح الحديث عن "شمالي" و "جنوبي" في مفاوضات السلام تفجرت الأوضاع حيث أثار ذلك مسألة "الهوية".

أكد هذه الحقيقة أكاديمي وباحث من أبناء المنطقة (د. أبو القاسم قور) الذي يرى أن الطرفين تعايشا سلمياً لمئات السنين، ومع ذلك لم يحدث اندماج اجتماعي/ثقافي بينهما. فلكل طرف نظامه الاجتماعي وعاداته. وبينما يوجد في مدخل مدينة أبيي الشمالي المسجد والخلوة القرآنية، توجد في مدخلها الجنوبي الكنيسة.[55] أي يمكن أن يكون هناك تعايش سلمي تحفظه الأعراف من خلال إدارة أهلية مشتركة متفق عليها من الطرفين – كما كان ذلك الحال منذ عدة قرون – لكن لم ينصهر الطرفان في بوتقة واحدة ولم يشكلا هوية واحدة حتى الآن. وقد حاول قور تفتيت بنية الصراع بمدخل سوسيو/ثقافي. وقال: "إنني أزعم بنهاية التعايش الطبيعي، وبداية التعايش الدستوري والمؤسسي بين المجموعتين – المسيرية العجايرة ودينكا نجوك."[75] لاحظ قور أنه منذ الربع الأخير من القرن العشرين وحتى مطلع القرن الحادي والعشرين أن الدينكا قد سعوا – من طرف واحد – إلى البديل المؤسسي وهو مشروع "مفاصلة الهوية وتحضير الحياة، أي أنهم [الدينكا] أعلنوا للعالم بأنهم ليسوا من العرب في شيئ ... كان ذلك في مؤتمر أقوك الأول

[55] عبده مختار، مسألة الجنوب ...المصدر السابق، ص 154.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

في عام 2004، قبيل الاتفاقية ..."[56] ويرى قور أنه آن الأوان للمسيرية كي يؤسسوا مشروعهم البديل داخل منظومة "مفاصلة الهوية وتحضير الحياة" حتى يتخلوا من حياة الرعي البدائي وبناء مجتمع حداثوي وينعموا بخيرات مجتمعهم.[57] إن في رأي قور (الذي هو من أب مسيري وأم دينكاوية) أن الدينكا والبقارة ثقافتان مختلفتان، موجودتان على بقعة جغرافية واحدة، هذا هو اختبار التاريخ والجغرافيا، واختبار السياسة واختبار السلام الذي يقوم على احترام الهوية. ولذلك سوف تظل أبيي مهدداً أساسياً لمشروع الأمن الشامل في السودان... ولم تعد أبيي قرية صغيرة تقع في الجزء الجنوبي الغربي لولاية جنوب كردفان، بل أضحت بؤرة توتر استراتيجي واجتماعي.[58]

كذلك د. فرانسيس دينج (باحث وأكاديمي معروف) من الدينكا (نجوك) من أبناء أبيي بل كان والده (دينج مجوك) زعيما قبلياً في المنطقة وعاصر فترة التعايش السلمي بين أهله دينكا نجوك والمسيرية الحُمُر. وقد كتب عن ديناميات الهوية في فترة شبابه في بداية سبعينات القرن العشرين (*Dynamics of Identification: a Basis for National Integration*) حيث تحدث حول التعايش السلمي في المنطقة وأشار إلى أن أبيي تمثل صورة مصغرة للعلاقات بين الشمال والجنوب، لكن اعترف بوجود هويتين على الرغم من التواصل الاجتماعي والتأثير المتبادل في بعض الجوانب مثل الاستعراب المحدود كاستخدام الدينكا لمفردات عربية لألقاب زعمائهم مثل (مك وسلطان وناظر). غير أنه – أي فرانسيس – جاء بعد ثلاثة عقود (في تسعينات القرن العشرين) ليرسم صورة قاتمة حول العلاقة بين الطرفين وتحدث عن رواسب الماضي والاسترقاق والاستعلاء العرقي العربي على الجنوبيين وتحدث عن صراع الهويات في كتاب (صراع الرؤى ونزاع الهويات في السودان: "*War of Visions: Conflict of Identities in Sudan*". في هذا الكتاب (الذي صدر في واشنطون عام 1995) يرى أن صراع الهويات كامن في السودان وأنه عندما تزول قبضة الاضطهاد، كما حدث في الاتحاد السوفيتي وفي شرق أوروبا، تبرز المشاكل الإثنية والدينية التي ظلت مكبوتة لفترات طويلة لتعبر عن نفسها بالعنف الذي يهدد بالتجزئة والتفتت وربما الانهيار التام. ويرى أن هذا هو صراع الرؤى ونزاع الهويات الذي ظل مستعراً خلال فترات متقطعة لعشرات السنين في السودان.[59]

---

[56] أبو القاسم قور حامد، "بداية قرن، البقاري والمونجانق: مقاربة سوسيو-ثقافية"، صحيفة السوداني، الخرطوم، 12 فبراير 2008

[57] المصدر نفسه.

[58] المصدر نفسه

[59] فرانسيس دينج من أبناء قبيلة الدينكا. وُلد في عام 1938 في قرية نونق Noung بالقرب من أبيي وهي المركز الإداري لدينكا نجوك (بالاشتراك مع المسيرية الحُمر). كان والده زعيماً بارزاً في أبيي درس المدرسة الأولية والوسطى في الجنوب ثم الثانوية في خورطقت (مدينة الأُبيّض) في شمال السودان. تخرج في كلية القانون بجامعة الخرطوم بدرجة الشرف ثم درس في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وعمل أستاذاً بجامعتي ييل وكولومبيا وعمل سفيراً لدى الدول الاسكندنافية

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 ص.ص : العدد الثامن عشر ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

في نهاية كتابه يقترح فرانسيس دينج عدة بدائل وخيارات لحل الأزمة السودانية من بينها إعادة تعريف **الهوية الوطنية** لتكون بصدق موحِّدة وداعمة للمساواة التامة في الفرص السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والحياة الثقافية للبلاد. وبديل ثان يوفق بين التطلعات المثالية للوحدة والحقائق الموضوعية للتنوع. والثالث الاعتراف بأن العقبات أمام الوحدة ربما تكون عصية لا يمكن تخطيها وبأن الانفصال يمكن أن يسمح لكل من الطرفين (الشمال والجنوب) أن يتقدم ويتطور في مجال المهام الإيجابية للبناء على أسس نظرته الذاتية وتطلعاته الخاصة.[60]

الجدل حول أبيي قاد الشريكين في الحكم (المؤتمر الوطني والحركة الشعبية) إلى اللجوء إلى محكمة العدل الدولية. صدر قرار محكمة العدل الدولية في 22 يوليو/تموز 2009 توصل لحل توفيقي. ففيما يخص الحدود شمالاً وجنوبا أقر قرار المحكمة بما جاء في تقرير لجنة الخبراء مع تعديل في الناحية الشمالية من خط العرض 10،35 ْ ش إلى 10،22 ْ ش بما اعتبرته المحكمة تجاوزاً جزئيا من لجنة الخبراء لتفويضها. وقد منح القرار جزءً من محلية أبيي إلى دينكا نقوك ومنح أجزاء شمال مدينة أبيي للمسيرية. وقضى قرار المحكمة بأن يستعين الطرفان بخبراء في هندسة المساحة لإعادة ترسيم الحدود الشرقية والغربية، كما قضت بأن الحكم نهائي وملزم للطرفين. رحبت الحركة بالقرار الذي بمقتضاه ذهبت مدينة أبيي للدينكا بينما فقدوا بعض القرى الأخرى في المنطقة. أما الطرف الآخر – الحكومة ومعها المسيرية – فقد رحبوا بالقرار أيضا لأنه ثبّت حق المسيرية في الجزء الأهم وهو – على صغره – يضم آبار حقول النفط التي تنتج آبارها ما يقارب الثلث من انتاج السودان من النفط حالياً.

في التحليل النهائي يمكن النظر إلى تحكيم لاهاي حول أبيي بأنه قد حسم الخلاف "الجغرافي"، أما جوهر القضية، وهي "الهويات" فمن الأرجح أن تظل قنبلة موقوتة ربما تنفجر في أية لحظة استناداً إلى ما جاء من معطيات في سياق التحليل الذي تضمنه هذا البحث – وقد يكون ذلك عند الاستفتاء الذي ثار الجدل فيه حول على أي أساس يتم: على **أساس المواطنة** في محلية أبيي أم على أساس قبلي؟

والولايات المتحدة وكندا، ثم وزير دول للشؤون الخارجية. يعمل كزميل رفيع بمعهد بروكينز في مدينة واشنطن. له عدة مؤلفات بالإنجليزية تم نقل بعضها إلى العربية.

[60] فرانسيس مادينج دينج، **صراع الرؤى: نزاع الهويات في السودان**، المصدر السابق، ص 463.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 ص.ص : العدد الثامن عشر ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

خاتمــة:

بصـورة عامة ما زال السـودان دولة في طور الصـيرورة والتكوين a state in the making، وما زالت هذه الدولة تعاني من أزمة في تشـكيل المجتمع المتماسـك coherent والدولة المسـتقرة. فهي دولة تعاني من **أزمة في الهوية** وفي تأسـيس دولة تقوم على مجتمع يسـتند إلى مفهوم "المواطنة" بالتوصـيف الذي أشـارت له هذه الورقة (العدالة، سيادة القانون، المساواة...). غياب المواطنة بهذا المفهوم وغياب الهوية الجامعة (بوتقة الانصـهار) أثّـر ويؤثِّـر على عملية التعايش السلمي. لأن غياب هذه الديناميات الأساسية للدولة يؤدي إلى الشعورة بالاقصاء لأقليات وقوميات تجد نفسـها أنها مهمَّشـة ويؤدي ذلك إلى الشـعور بالغبن والظلم والحرمان لصـالح إثنيات معينة وأن مقدرات الدولة وفرصـها موجهة لصـالح قبائل محددة. لذلك ظهرت وتبلورت مفاهيم جديدة مثل "الإسـتعلاء الثقافي" والدونية العرقية، والجلابة ، فأصـبحت هناك إثنيات تشـعر بالامتعاض تجاه أخرى، وهذا يؤثر على العلاقات بينها وبالتالي يؤثر على عملية التعايش السلمي بل يؤدي إلى التمرد ضد النخبة المسيطرة على السلطة والثروة كما يحدث اليوم.

من التحليل السـابق يتضـح أن النخبة السـياسـية الحاكمة في السـودان هي المسـؤولة بدرجة كبيرة عن عدم الاسـتقرار وضـعف التعايش السـلمي في الدولة. فهي قد فشـلت في بناء دولة متماسـكة تقوم على ثالوث: "القانون والعدالة والحكم الرشيد"، بينما في الواقع تقوم الدولة السودانية المضطربة على ثالوث الأمن والسوق والقبيلة (كما ذهب المفكر الإسلامي البروفيسر التجاني عبد القادر في مراجعاته الكبرى).

من كل تلك المقدمات والمعطيات والتحليل يمكن أن نستخلص الحقائق التالية:

1. إن الهويات الشمالية (في جمهورية السودان بعد الانفصال) تشكل هويات صغرى تربطها الهوية الإسلامية في **هوية كبرى واحدة** برباط قوي بينما ينتفي أو يضعف هذا الرابط بالنسبة لعلاقة الشمال بالجنوب وبالتالي – بعد انفصـال الجنوب – الآن يمكن أن تتوافر فرص أكبر لتحقيق نظرية بوتقة الانصـهار تأسـيسـا على الهوية الإســلامية/العربية في ما تبقى من الســودان. هذا لا ينفي وجود تحديات تتمثل في وجود بعض الأقليات "غير العربية" مثلما هو الحال في جنوب النيل الأزرق وجنوب كردفان (النوبة) وبعض قبائل دارفور. وقد تمت عملية **الاسـتعراب** التلقائي لمعظمها بانتشـار **الإسـلام**. لكن قد تثور هذه الأقليات ضـد المركز إذا ما شعرت بأنها مهمشة ومظلومة – على أساس عرقي(إثني)/عنصري – مثلما حدث (وما زال يحدث) في دارفور وجبال النوبة والنيل الأزرق.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 ص.ص : العدد الثامن عشر ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

2. أن **عملية السلام المستدام** تحتاج إلى عملية دمج الهويات وهذا يصعب الآن وقد يحتاج الأمر إلى أجيال حتى يتم تذويب الهويات المختلفة في الهوية السودانية.

3. إن **التعايش السلمي** الذي نجح في العديد من الدول – خاصة الغربية – رغم التنوع والتعدد الإثني لم ينجح في السودان ليس لعدم توافر الاندماج الاجتماعي/الثقافي الكامل بل بسبب غياب النخبة الواعية التي تحسن إدارة التنوع – بكفاءة وحياد وعدالة – لتوفير المناخ اللازم للانسجام وحتى يسود الشعور بين الجماعات والطبقات والإثنيات بأنهم كلهم **مواطنون سواسية** ومن الدرجة الأولى. غياب هذا المناخ وتلك العدالة يشكل أحد أهم أسباب صراع الهويات في السودان – إن لم يكن السبب الوحيد.

4. الحل للمعضلة المشار إليها خاصة في (1) أعلاه يكمن في تطبيق مفهوم "**المواطنة**" كمعيار يحكم العلاقة بين كل مكونات المجتمع السوداني – وهو معيار يتجاوز النظر للمواطن على أساس الجنس أو الدين أو اللون أو العرق أو الجهة.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم عكاشة علي، **الكنائس المحلية والسلام في السودان**، مجلة دراسات أفريقيا، العدد 33، الخرطوم: جامعة أفريقيا، مركز الدراسات والبحوث الأفريقية، يونيو 2005.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 ص.ص : العدد الثامن عشر ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

- خالد الكد، **الذاتية السودانية بين القومية والإثنية والعنصرية**، في: "التنوع الثقافي وبناء الدولة الوطنية في السودان، أبحاث ندوة مركز الدراسات السودانية، 1 – 3 إبريل 1995، القاهرة.
- حامد البشير، **محاولة لفهم العلاقات القبلية وديناميات الحرب والسلام في جبال النوبة**، ترجمة عائشة سليمان.
- حسن مكي محمد أحمد، **الشخصية السودانية بين ضغوط الحداثة ومشاريع التجديد**، مجلة دراسات أفريقية، العدد 31، الخرطوم: جامعة أفريقيا العالمية، يونيو ، 1995.
- رياض عزيز هادي، **السياسة في العالم الثالث**، ط2 (بغداد: جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، 1989.
- سعد الدين إبراهيم، **نحو دراسة سوسيولوجية للوحدة العربية**: الأقليات في العالم العربي، قضايا عربية، السنة 3، الأعداد 1 – 6 (نيسان/إبريل – أيلول/ سبتمبر 1976).
- صالح القريح، **الهوية الإسلامية**: حقيقتها ووسائل الحفاظ عليها، (ورقة مقدمة في المؤتمر العلمي السادس "الهوية الإسلامية في عالم متغير"، كلية الشريعة، جامعة جرش، الأردن، 11/20 – 12/2/ 2004).
- عبد الله علي إبراهيم، **الماركسية ومسألة اللغة في السودان**، دار عزة للنشر، الخرطوم، 2001.
- عبد الرحمن الغالي الجعلي، **التعدد الإثني والديمقراطية في السودان** (تحرير حيدر إبراهيم علي)، أوراق مختارة من ندوة: "التعدد الإثني والديمقراطية في السودان"، الخرطوم، 18 – 19 مايو 2002.
- عبد السلام إبراهيم بغدادي، الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في أفريقيا، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،ط2).
- عبده مختار موسى، مسألة الجنوب ومهددات الوحدة في السودان، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009.
- عبده مختار موسى، صراع الهويات ومهددات الوحدة في السودان، الخرطوم: مركز السودان للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2007.
- فرانسيس دينج، **صراع الرؤى: نزاع الهويات في السودان**، ترجمة عوض حسن، القاهرة: مركز الدراسات السودانية، الخرطوم: مركز الدراسات السودانية، 1999.
- فرانسيس فوكوياما، **نهاية التاريخ وخاتم البشر**، ترجمة حسين أمين.
- محجوب الباشا، **التنوع العرقي والسياسة الخارجية في السودان**، مجلة الدراسات الاستراتيجية، الخرطوم: مركزالدراسات الاستراتيجية، 1998.
- نيفين عبد المنعم مسعد، **الأقليات والاستقرار السياسي في الوطن العربي**: أطروحة دكتوراة، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1987.
- يونيكو كورينا، **علي عبد اللطيف وثورة 1924**، ترجمة مجدي النعيم، مركز الدراسات السودانية (د ت).
-

- Angus Campbell, and Henry Vallen, Party Identification in Norway and the United States, Public Opinion Quarterly, 25, 1961.
- Arkell, A. J., (1951), The History of Darfur: 1200 – 1700, *Sudan Notes and Record*,vol.32.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/01/2024
321- 290 العدد الثامن عشر : ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N18
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

- Ayoub Balamoon, *People and Economics in The Sudan:* 1884 – 1956, Harvard University Centre for Population Studies, 2nd edition, 1981
- Binagi, L. A., (1981), *the Genesis of Modern Sudan*, (Ph. D. Dissertation, Temple University Press, USA.
- David Sills (ed.), Encyclopedia Britanica, Macmillan Company and Free Press,London, 1972, Vol. 7.
- John Stone, *Ethnicity Versus the State: the Dual Claims of State Coherence and Ethnic Self-determination*, in Rotchild and Olorunsola, eds., State Versus Ethnic Claims: African Policy Dilemma.
- Lipset, Seymour, Religion and Politics in the American Past and Present, USA, 1964.
- Mansour Khalid, *The Government They Deserve: the Role of the Elite in Sudan's Political Evolution*, Kegan Paul, London and New York, 1990.
- Marc Nickel, "*God Has Not Forgotten Us: Christian Identities and Ethnic Survival in Sudan.* A paper prepared for "Religion, Nationalism and Peace in Sudan", (organized by the United States Institute of Peace on the 16th and 17th September 1997.
- Muhammad Omer Beshir, Revolution and Nationalism in the Sudan. Barnes and Noble, 1974.
- P. M. Holt, *the Mahdist State in the Sudan* 1881 – 1898, Clarendon Press, Oxford, 1958. Also see Muddathir Abdul-Rahim, Imperialism and Nationalism in the Sudan, Clarendon Press, Oxford, 1969.
- Sayyid Hamid Hurriez, *Ethnic Culture and National Identity in the Sudan.* In: "Ethnicity, Conflict and National Integration in The Sudan", Khartoum: the Institute of African and Asian Studies, Khartoum University, 1989.
- Sayyid Hamid Hurreiz and Al-Fatih Abdul-Salam, (eds.), Ethnicity, Conflict and National Integration in the Sudan.
- Sigmund Freud, Group Psychology and the Analysis of the Ego, London, Hogarth, 1921.
- Stevenson R. C. (1963), Some Aspects of Islam in the Nuba Mountains, *Sudan Notes and Records*, vol. 44.
- Trimingham, *The Christian Approach to Islam in the Sudan*, Oxford University Press, 1948.
- Yusuf Fadle Hassan (ed.), *External Islamic influence and the Progress of Isalmization in the Eastern Sudan Between the Fifteenth and the Nineteenth Centuries.* In: Sudan in Africa (studies presented to the First International Conference Sponsored by the Sudan Research Unit, (later on renamed the Institute of African and Asian Studies, University of Khartoum), 7 – 12 February 1968.
- Yusuf Fadle Hassan, (1967), *The Arabs and the Sudan*, Edinburg University Press, P. 90. Tim Niblock (1987), *Class and Power in Sudan*, University of New York Press.